لا ترجعوا بعدي كُفاراً يضربُ بعضكم رقاب بعض

الأستاذ عصام العطار

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ خطب يومَ النَّحْرِ فقال:

- ((**يا أيها الناس ، أيُّ يومٍ هذا**))؟
- قالوا: **يومٌ حرام** [1]
- قال: ((**فأيُّ بلد هذا**))؟
- قالوا: **بلدٌ حرام** [1]
- قال: ((**فأيُّ شهر هذا**))؟
- قالوا: **شهر حرام** [1]
- قال: ((**فإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ كَحُرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا في شهركم هذا [إلى يومِ تَلْقَوْنَ ربّكم]** [2])) ، فأعادها مِراراً ، ثم رفع رأسه فقال:
- ((**اللهم هل بَلَّغتُ ؟ اللهم هل بَلّغت ؟ ، فَلْيُبَلِّغ الشاهدُ الغائب. لا ترجعوا بعدي كُفاراً** [3] **يضربُ بعضكم رقاب بعض**)) رواه البخاري

---

(1) حرام: أيْ حرّم الله تعالى فيه القتال

(2) هذه الزيادة من حديث أبي بَكْرَة في صحيح البخاري.

(3) أي عصاةً كالكفار.

هذه هي وصية رسول الله ﷺ إلى أمته على امتداد المكـــان ، وعلـــى امتـــداد الزمان ، إلى أن يلقوا ربهم عند انقضاء الحياة الدنيا:

يَحْرُم على المسلمين أن يستبيح بعضهم دماءَ بعـــض ، وأمـــوالَ بعـــض ، وأعراضَ بعض ، بالفعل الآثم ، أو القول الفاجر ، وأن يرجعوا بذلك بعـــد أن هداهم الله للإيمان ، وللإسلام وتعاليم الإسلام وأخلاق الإسلام ، كفاراً يضرب بعضهم رِقاب بعض

ولكننا رجعنا في أحرج مرحلة من مراحل تاريخنا وتاريخ عالمنـــا ، خلافـــاً لوصية رسول الله ﷺ ، كفاراً – أي عُصاة – يضرب بعـــضنا رقـــاب بعـــض بدرجات متفاوتَة ، وأشكال مختلفة ، لغير ما غاية سامية أو مصلحة عامة بيّنة ، بل لما فيه خسارةُ الجميع ، وهوان الجميع ، وهلاكُ الجميع ، وتمكين أعداء العرب المسلمين من الهَيْمنةِ في أرض العرب والمسلمين والتحكّم في مـــصائرهم بأبـــشع صورة من الصور. ونظرة واحدة شاملة إلى العالم العربيّ والإسلاميّ كافية لرؤية المآسي الأليمة التي يتخبط فيها ، والأحداثِ الرهيبة التي يعيشها ، والدماءِ الغزيرة التي تسيل ، والخَرابِ الكبير الذي يعُمّ ، والمستقبلِ المظلمِ المنذرِ، وهذا الانتحـــارِ العبثيّ السياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ والأخلاقيّ... إذا استمرت هذه الحال.

لا بدّ أن نعلن بكل قوّة ووضوح أنّ ما نراه الآن من اقتتال العرب والمسلمين فيما بينهم ، بمختلف صوره ودرجاته ، يتناقض كلّ التناقض مع روح الإسلام ، وتعاليم الإسلام وأخلاق الإسلام ، ومصلحة الإسلام والمـــسلمين ، ومـــصلحة الإنسانية جمعاء ، وأنّ من واجب كل مسلم يغار على دينه وأمته ، وعلى القـــيم العليا التي جاء بها الإسلام وسائر الأديان ، أن يعلن رفضه لهذا الواقـــع الأليـــم الرهيب المخزي ، وأن يضمّ صوته وجهده لدعوات الحوار والإصلاح والصلاح.

يجب أن يقف في العالم العربي والإسلامي نزيف الدم ، وأن يقف العـــدوان والبغي والظلم ، وأن يؤدي كلُّ مسلم ، وكل إنسان حرٍّ شريف دوره في هـــذا المجال بأفضل ما يستطيع وأقصى ما يستطيع.

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }
الحجرات ١٠

* * *

ولايرفض الإسلام اقتتال المسلمين فحسب ؛ ولكنه يرفض كل ما يؤدّي إلى اقتتالهم ، وتنازعهم وتقاطعهم من قول أو فعل

روى البخاريّ ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبيّ ﷺ قال:

- ((**سِبَابُ المسلم** (١) **فُسُوق** (٢) **وقتاله كُفر**))

وروى البخاريّ في صحيحه عن عبد الله بن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال :

- ((**من حمل علينا السلاحَ فليس منا**))

بل إن رسول الله ﷺ عَرّف **المسلمَ بأنه من سَلِم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمنَ بأنه من أَمِنَهُ الناسُ** – مسلمينَ وغيرَ مسلمين – **على دمائهم وأموالهم**.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بـــن عمـــر رضـــي الله عنهما ، عن النبيّ ﷺ قال:

- ((**المسلمُ من سَلِم المسلمون من لسانه ويدِه ، والمهاجرُ من هجر ما نهى الله عنه**))

وأخرج الترمذيّ والنسائيّ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(1) سبابُ المسلم: شتمه والتكلم فيه بمايعيبه ويؤلمه.

(2) فسوق: فجور وخروج عن الحق وآداب الإسلام.

- ((المسلمُ من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمنُ مَنْ أَمِنه الناسُ على دمائهم وأموالهم))

أمّا القَتلُ ، قتلُ مسلمين بأيدي مسلمين ، ومواطنين أبرياء بأيدي مواطنين ، الذي نرى في كل يومٍ من إيامنا صوراً من أبشع صوره في بعض البلاد العربيـــة والإسلامية ، والذي غدا في بعض هذا البلاد ، وكأنه أمـــر عـــادي مـــألوف ، وَضَرْبٌ من ضُروب اللهو والعبث!! أما هذا القتل العجيب الرهيب فيكفـــي أن نقرأ في شأنه قول الله تعالى:

- ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ سورة النساء الآية ٩٣

وقوله تعالى:

- ﴿ ... وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّـــاكُمْ بِـــهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ سورة الأنعام الآية ١٥١

وقوله تعالى:

- ﴿ ... مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّـــاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً... ﴾ سورة المائدة الآية ٣٢

* * *

إننا ندعو العرب والمسلمين

وندعو سائر المواطنين في بلاد العرب والمسلمين من كلّ قوم أو دين أو مذهب من المذاهب ، وبخاصة أهل العراق ، إلى أن يضعوا حدّاً لهذه المذابح المرعبة التي يَـــبرَأُ منها الدين ، وتبرأ منها الإنسانية ، ويبرأ منها ويشجبها كل خلق كريم.

ونحن نعتقد أنّ الحكومات العربية والإسلامية ، والعلمـــاءَ والمـــثقّفين والقـــادة الشعبيين ... قادرون إذا أحسوا بمسؤوليتهم ، ونهـــضوا بواجبـــهم ، وصـــدقوا في

سعيهم ، وتعاونوا فيما بينهم بجدّ ووعي وإخلاص ... على إنقاذ العراق من الهلاك والدمار ، وهذا الانتحار الجماعيّ العبثي الوحشيّ المخزي ، المثير للرثـــاء والحـــزن والاشمئزاز.

ونحمّل في شأن العراق ، بكلّ أمانة وصراحة ، المـــسؤوليةَ الأولى في الإنقـــاذ والإصلاح للمراجع الشيعية الكبيرة المسموعة الكلمة ، والزعامات الشيعية الوطنيـــة المؤثّرة ، فهم الذين يملكون الولاء الأكبر ، والقوة المنظّمة الأكبر ، ويضعون أيـــديَهم على الحكومة وأجهزة الحكومة التي لا يخدم بعضُها الأمنَ بل يدوس الأمن ، ولا يمنع الجريمة بل يسبق إلى ارتكاب الجريمة

ونحمّل أيضاً جانباً كبيراً من المسؤولية للجمهورية الإسلامية في إيران فهي كانت – وماتزال – بوجودها ونفوذها قادرة على دور أفضل في لجم الصراعات الدموية ، والتفاهم والإصلاح.

* * *

أيها العرب والمسلمون

أيها السنة والشيعة

أما آن لكم أن تبصروا وتدركوا أن أعداء العرب والمـــسلمين يعملـــون في العراق وغيرهما من بلاد العرب والمسلمين لضرب الـــسنة بالـــشيعة ، والـــشيعة بالسنة ، ليتمكنوا منهم جميعاً ويهيمنوا عليهم جميعاً ، وينفذوا فيهم مخططـــاتهم الآثمة المدمرة في الحاضر والمستقبل

إننا ندعو العربَ والمسلمين جميعاً حكوماتٍ وشعوباً ، وعلماء وزعمـــاء ، وكتاباً وإعلاميين إلى المبادرة والتعاون على إطفاء نار الحرب الطائفية الملتهبة قبل أن تحرق بلادنا وحاضرنا ومستقبلنا ، ودنيانا وآخرتنا على حدٍّ سواء.